نشيد القيامة

للشاعر رومانس المرنم البيروني

نقله عن اليونانية وعلق عليه
الاب نقولاوس قادري ق .

توطئة

ليس الاناشيد الساحرة لرومانس يُعدّ نشيد القيامة من اروع ما رسمت ريشته ، وصوّر خياله الطليق ، المثقل بالوحي الخصب ، والموسيقى ، والالوان ، هو غني بالقوة والحياة والعمل المسرحي . فرومانس شاعر منطلق يتفلت من القصة والقيود الاخبارية ، ليحلق في سماء العمل المسرحي ، فيلبس نشيده حلة المأساة ، ويطلق للاشخاص عنان الحوار على انقباض .

وهذا النشيد حيّ بحياة الشعر الصافي ملآن بالروعة الساحرة والحركة المتدفقة كأنها ينبوع ماء غزير ينساب في الفياض فيغدق الحياة بسخاء ، حيّ بحياة الشعر الزاهر بالالوان والصور النفسية التي تملأ العقل وتحرك القلب ، وهو حي بحيا من الم وبغض وحب يزيد في الجمال المسرحي وروعة الموضوع الرئيسي .

فهناك جمع من الاشخاص يتراكضون امام ابصارنا بشاهد ونفسيات مختلفة متنوعة . ففي اعماق المشاهد يتراءى الكتبة والفريسيون ، وجمع من اعداء يسوع كاليهود ، وبيلاطس ، والجنود الرومانيين لابسين الدروع والعُدد ، وقائمين على حراسة الليل حول القبر . وهناك الملاك يسطع نورًا فيظهر بغتةً على الحجر وله منظر كمنظر البرق او الصاعقة .

وهناك النسوة الورعات يسرن الى الرمس في اول شعة النور قبل الفجر .

وهناك في افق المشهد البعيد ، وفي مملكة الجحيم يتراءى الاجداد ، فالآباء ، فالابناء ، فرجال الشريعة القديمة وكلهم ينتظرون مع الاب الاول والام الاولى ساعة يبعثون .

وفي الوسط من المشاهد المسرحية مشهد جذاب تتوجه اليه الابصار بنوع

خاص مشهد رائع ومهيب شخص المأساة الرئيسي الميت الراقد الذي يروع ويبعث الذعر والرهبة في قلوب الاحياء . هو جثة هامدة بيضاء ولكنه بالسر وفي الليل يمر من سكون الموت الى الحياة القوية حياة اليقظة الكبرى.[1]

وبالقرب من الميت شخص آخر صامت ابكم ولكنه ملآن ايضاً من الاسرار هو الموت عينه ، ينشر ظلاله وظلامه على المشهد الصامت الناطق فيحيل الى السكون السريع انتصار الميت ويبشر الجحيم بهزيمة ذاته وانكساره الهائل.

فمن اول مشهد من المأساة الى آخر مشهد يحس القارئ بثورة العالم وغليان الاحياء حوال شخصين من الاموات اللذين في رهبة القبر وروعة الصمت ينتصبان للصراع كانهما خصمان يريدان القتال والقتال. وفي هذه الاونة الرهيبة ، وحوال هذين الخصمين المتبارزين في الرمس البارد الصامت ، ينظر رومانس بعين الشاعر الحق ، والخيال المبدع ، والرسام الفنان ، والنحات الدقيق ، ينظر الى الصراع الاليم والميت ينشأ ويتقوى وينمو حتى يصل الى قمة العارض المسرحي:

« كان جنود خارج الرمس ،
وكان صراع بين المسيح والموت داخل الرمس ،
فاز المسيح بقوة بالانتصار ،
وفقد الموت القوة ،
سلب المسيح الاموات الذين في الجحيم
وصرخ الموت للذين هم في الاعماق :
« إني غلبت فاصرخوا : قام الرب ! »[2]

وهناك الوصف الدقيق يشعر القارئ انه امام مشهد من مشاهد الياذة هوميروس ، او امام وصف القتال في رواية « السيد » للشاعر الافرنسي كورنايل.

ترعزعت الجحيم — بكوا وضحكوا
وتحرك اهلها للفرار — حزنوا وفرحوا
تصرخ الحراس ما الساعة الان ؟ — ويل لنا ! ويل لنا !
هل مضى الليل — وحدث الواحد الاخر

---

١) Giuseppe Cammelli, *Romano Il Melode*, p. 366

٢) راجع المقطوعة الثالثة عشرة من النشيد .

فاستفاق سكان القبور : « قائلاً : ان الامر جليل
قام الرب !»[1]

غير ان المشهد والعمل المسرحي لا يسمحان بجوار طويل او بوصف مسهب متتابع ، فهو اذن ، بضرورة الامر ، متقطع يلازم احوال واوقات المأساة المختلفة وانما يزيد في الشعور النفسي والعواطف التي تسيطر على مخيلة الانسان واحساساته .

وقد يتلاقى فكتور هوغو ورومانس في مواقف مؤثرة كما في المقطوعة السابعة عشرة من النشيد فهنا الشاعر رومانس يُعطي الكلام لجندي نائم يحلم بالحقيقة :

لا احد في الداخل
وهنا واحد على الحجر ،
ايتراءى ام يخيل لي اني اراه ؟
ايخدعني الليل سرعة ؟

فيجاوبه جندي آخر ويهدىء من رعشته وذعره :

« ايها العزيز ، الليل يخدعك
فاغدر الينا ونم معنا
هو الروح يتخيل لك .
فاصت ونم . »

وفي رواية هرناني للشاعر الافرنسي فيكتور هوغو مشهد يقرب من هذا اذ يقف كارلس الخامس على ضريح كارلس الكبير ويخاطبه .

رومانس مؤمن وايمانه حي عامل فصوّر هذا الايمان بتلك الفقرات الصغيرة التي لقنها للشعب وعلمهم ان ينشدوا معاً بايمانهم تلك اللازمة الحيوية : « قام الرب !» فهي صرخة الاجيال السحيقة تتردد في مسمع البرايا فينصت اليها الخلود .

صوّر رومانس تلك الساعة الرهيبة من تراث الخلود ساعة قام المسيح بعد ان نفض عند غبار الموت كأنما ينفض ثوباً بالياً . وطعن حجر الضريح كقشرة بيضة العصفور ، وابان قوة جناحيه وفتح هذا الاسد الرابض بسلام ، فتح عرينه بعد ان صرع الموت عدوّه وخصمه ، فتح قبره بذاته ، فتحه كشفتي انسان افلتت منه الحياة عن بسمة اله .

---

١) راجع المقطوعة الرابعة عشرة من النشيد

ويخلق رومانس كالسحر في سماء الشعر الصافي فيخلق اجواء فسيحة من المسرحيات العالمية كما في المقطوعات الرابعة عشرة ، والخامسة عشرة ، والسابعة عشرة وكلها حركة وحياة ونور وايحاء وقوة كأنها انشودة بلبل طروب يغني على اكمام الزهر في الربيع ، والطير ساعات سكر وترنح ، ولا سيما في مطلع الفجر ، حينما تسبق الطيورُ الشمس فتروح تقبل بتلات الزهر وتطبع على اكمامها قبلات الفنج والايناس .

هكذا رومانس كالبلبل الغرّيد يطرب ويصفق باجنحة الخيال ويغني بموسيقى الشعر ، يغني في منبلج الفجر الجديد فجر القيامة . فيستقبل شمس الحياة بانغام الحياة وانوار الحياة :

« انه رهيب
يحمل النور
يوزع النور
هو النور
انه حقاً ابن النور . »

وينشد الحياة الثيرة ، الحياة واثبة من الضريح كعصفور خرج من بيضته بعد ان كسرها وطحنها . ويحس رومانس بالمسيح الميت يحيا وينفذ من القبر بعد ان يكون قد ترك للقبر ختامه كما خرج عند مولده من بطن امه البتول وكان قد ترك للبتول « ختام البتولية سالمة . »

هذا النشيد على روعته وجماله الساحر يُعد بكل حق وجدارة مغناة لا ينقصها الا الاصوات البشرية حتى تتغنى بها وتشيد بانتصار المسيح الظافر الذي وحده تغلب على الموت وصرعه وقتله بموته ، فاذا به يعود من القبر حياً بعد ان داس الموت وابطل قوته وطحن ابواب الجحيم التي تزل اليها ، فاذا به يعود الى الحياة و« يتبعه آدم وتلحق به حواء » واذا بقبر المسيح يغدو « مذخر الحياة » « ومجد العالم » « ومستودع السلام » بينما ان قبورنا نحن البشر قد اصبحت نسياً منسياً الى منتهى الزمن وعلى الرغم من ان نفوسنا قد تفلتت من القبور فاجسادنا تسقط في الاجداث وتعود الى التراب ويبيد ذكرنا وينسى اسمنا مع الدوي . واما قبر المسيح الناهض فليس هو سوى ممر يحفر فيه رواق ينتهي بقوس نصر عظيم .

نشيد القيامة (١

للشاعر رومانس المرنم

ايها المسيح الاله ،
بقيامتك من الأموات
ابتلع الموتُ في الصراع .
ولذا نحن ، المفتخرين

بآلامك ،
نبتهج معيّدين
على الدوام ،
ونترنم هاتفين :
قام الرب !

١

ان شعب الآثمين
أسلم قديماً
الحياةَ للقبر ،
والالهَ للموت ،
وسابيَ الجحيم للجحيم ،
ومعطيَ الخلود
للمائتين كمائت ،
ومحيي الاموات
بكلمة كميت .
وضع الآثمون

حرّاساً على قبر
مَن يحمل الجميع
باشارة .
يا لجهل الآثمين !
اذا كان ميتاً
فلا تخف .
واذا كان حيّاً
فتوسل
واصرخ معنا :
قام الرب !

(١ Giuseppe Cammelli, *Romano Il Melode*, Inni, pp 370-386. Edizioni « *Testi Christiani* », 1930.

٢

أنزل يوسفُ عن الصليب
المخلصَ ، وإله يوسف
الذي خلص يوسف
قديماً من الجُب[1] .
حفظه الحرّاس
كميت منظوراً ،
ولكنه امات الحراس
من الخوف ،
وهو غير منظور .
حجر كان على الرمس[2] ،
وصخرةٌ كانت
داخل الرمس[3] ،
فاحجاراً اصبح الحراس
حين أبصروا الملاك
جالساً على الحجر[4]
وقائلاً للنسوة :
قام الرب !

٣

ان القضاة الآثمين
اثبتوا بافكار شريرة
وقالوا :
« هاهو طريح الى الارض ،
من زعزع الارض ،
عنه يتحدث الجميع ،
وعنه يتكلم الكل:
ان الذي ذهلت
الارض كلها
من اعماله
قد مات !
لنسهر اذن
لئلا تفقد الاواخر
شراً من الأوائل .
لنسهر لئلا يسرق
التلاميذ جسده
ويكذبوا مبشرين الجميع:
قام الرب !

---

١) التكوين ٣٧ : ٢٨ ، وسفر الحكمة ١٠ : ١٣ ٢) متى ٢٧ : ٦٠
٣) راجع رسالة بولس الى كورنثس ١٥ : ١-٥ ٤) متى ٢٨ : ٢

٤

لنسأل الآن
بيلاطس حرّاساً
فيعطينا حرّاساً.
ان يسوع هائل
حياً كان او ميتاً!
ففي حياته،
حلّ شريعة السبت،
واذا قام من الاموات،
فتزول الشريعة.
مَدجى،
وهو طريحٌ مائت.
ينتظر حياً،
وهو مقيّد.
وبعد ثلاثة ايام،
قال تلاميذه كلهم:
اننا عندما
رأينا المعلم،
قلنا:
قام الرب!»

٥

«يا بيلاطس، اخبرنا بجلاء،
فنحن، أبناء الوطن
والغرباء،
نلتجيء اليك،
فأرشدنا.
بك فلتحفظ حقوق الامة.
نحن نطلب ان لا يحلّ
المائت شريعة الله.»
لِمَ تتجاهلون
ايها الآثمون؟
اتيقيمون بيلاطس
رقيباً على الشريعة؟
كم المسيحُ
يفضل بيلاطسَ!
فالمسيح هو الذي
ثبت الشريعة،
والمسيح هو الذي
اعطى النعمة
للصارخين:
قام الرب!

٦

هذا كلامه لاحبائه :
« اني سأقوم
بعد ثلاثة ايام
وانا ، اذا مت ،
سأدوس الموت .»
نحن لسنا نخاف
وقوع هذا الامر ،
ولكننا نظن
ان سيسرقه البعض .
انه لن يقوم ؟
فنحن بهذا عالمون ،
ومع ذلك ،
لسنا بمرتاحين
من هذا القبيل .
فالروح اذا خرجت
لن تعود
الا بأمر الله .
اما اذا كان
هذا الهاً
فلنقل :
قام الرب !

٧

سمع بيلاطس
بهذا فاجابهم :
« ان كلامكم
لموجب هزؤا .
من يسرق ميتاً ؟
وما المنفعة من ميت ؟
ان المحبّ يحبُّ الحبيب
حتى اللحد ؟
ولا فائدة
ان يظهر له الحب
بعد ان صار في اللحد .
فالمائت راقد
لا يبدي حراكاً .
فما الفائدة لكم
من راقد؟»
الا دعوا المائت
ايها الدافنون ،
فلن يسرق .
ولكن ، اذا ما قام ،
فاصرخوا :
قام الرب !

٨

انا جلدته ،
وانتم صلبتموه ،
ويوسف وضعه
في الحفير .
انه لميتٌ !
انه لجثة هامدة !
عندما مات ،
نظر اليه الجميع .
فاذا قام من الرمس ،
ينظر اليه الجميع .
تقولون انتم
انهم سرقوه ،
وهم يقولون
انه قام !
لمَ التعامي اذن ؟
نحن نؤمن بما رأينا
ولذا نقول :
قام الرب !

٩

يتراءى لي
ان كل واحد يذيع :
إما انه سُرق ،
وإما انه قام ،
فهذا غير اكيد ،
وذاك محال .
ولكن اذا كان هذا
يجديكم الان نفعاً
فخذوا الان حراساً
وليحفظوا الرمس .
ولكن احذروا
الا يقول الحراس
مخدوعين تائبة :
كان هذا ابن الله حقاً [1]
واحذروا الا يصرخوا
وفيما هو في الرمس
كما صرخوا قبلاً
وهو على الصليب :
قام الرب !

---

١) متى ٢٧ : ٥٤

١٠

هكذا قال لهم
بيلاطس :
« عندكم حراس[1]
فاذهبوا واعملوا
ما بجديكم الان نفعاً . »
يا بيلاطس ،
اغسل الآن روحك ،
كما غسلت قبلاً يديك
وقل : « اني بريء »[2]
أبغتة تروعك الآن
رؤيا امرأة[3] ؟
اذن ماذا تصنع
حين تسمع
السماويين
والأرضيين
يصوتون
بعد القيامة :
قام الرب ؟

١١

حينئذٍ قال الآثمون للجنود:
لا تعطوا الآن
اجفانكم تماساً
وتجلّدوا .
احتملوا سياهرين قليلاً
الى ان يحسب
يسوع ميتاً .
واذا كنتم
تريدون ان تتمموا
ارادة بيلاطس ،
فاصنعوا هذا
فيغدو تعبكم
لكم ربحاً
ولنا مجداً ،
لانه بعد
فساد الجسد بجلاء
لا احد يجسر على القول :
قام الرب !

---

١) متى ٢٧ : ٦٥ ٢) متى ٢٧ : ٢٤ ٣) متى ٢٧ : ١٩

١٢

لا تعتقدوا الآن
بأن الامر سوف يبقى
بلا ربح لكم .
اننا نريد مكافأتكم
على اتعابكم .
لقد اعطى اليهودُ
يهوذا ثلاثين ديناراً ؛
واما أنتم فتأخذون
ضعف الثلاثين .
هذا ما نقوله لكم :
ان يسوع لهائل
حياً كان او ميتاً ؛
لا تتعبن باطلاً
فلن تأخذوا
منا ذهباً ،
اذا بقي المسيح
بالرغم منا ؛
وبقي القائلون :
قام الرب !

١٣

تحرك الجنود
برأي الآثمين الباطل ،
وذهبوا الى الرمس .
فالجند كانوا يحرسون
المسيح الملك .
لقد كان جنود
خارج الرمس ،
وكان صراع
بين المسيح والموت
داخل الرمس .
فاز المسيح
بقوة بالانتصار ،
وفقد الموتُ القوة .
سلب المسيحُ الاموات
الذين في الجحيم ،
وصرخ الموت
للذين هم في الاعماق
اني غُلبتُ فاصرخوا :
قام الرب !

١٤	١٥
هكذا غلب الموت[1]	ترعزعت الارض
فترعزعت الجحيم ،	بالخوف الشديد ،
وتحرك أهلها للفرار ،	وارتفع الحجر عن الرمس.[2]
فصرخ الحراس :	هل الرجل الذي
ما الساعة الآن ؟	نحن نحرسه
هل مضى الليل	والذي ، وهو على الصليب ،
فاستفاق سكان القبور ؟	تخوّف منه الآثمون ،
لقد تبلبلوا	هل قام الآن
ثانيةً وثالثةً	وانهض معه آدم ؟
في راحتهم ،	ها هو الآن
بكوا وضحكوا ،	يكسر الصخور ،[3]
حزنوا وفرحوا ،	ها هو الآن
وهتف الواحد	يزعزع الحجر ،
نحو الآخر :	هو هو نفسه
ويل لنا ! ويل لنا !	كما كان قبلاً
وحدّث الواحد	لقد مزّق الحجاب[4]
الآخر قائلاً :	وفتح الرمس ،
ان الامر جميل :	وبينما كنا نائمين
قام الرب !	قام الرب !

١) هنا يتلاقى الشاعر كورنايل مع رومانوس في وصف القتال
Corneille : Le Cid , III 3

٢) متى ٢٨ : ٢ ٣) متى ٢٧ : ٥١ ٤) متى ٢٧ : ٥١

١٦

لننهض الآن ، يا احبائي
ولنفتش ،
ولننظر القبر !
ان الحجر نقل
بالزلزلة حقًا .
فاذا كانت الجثة
بعدُ في الرمس
فلنصمت !
واما اذا كان الميت
قد اختفى
فلنبكِ
مع سكان الجحيم !
بكى الموت ،
وانتحبت الجحيم ،
عندما فتشنا معاً .
من قال الويل ؟
ومن صرخ
ان الامر لجميل
واصوات من تقول :
قام الرب ؟

١٧

لا أحد في الداخل !
وها واحد على الحجر !
أيتراءى
ام يخيّل لي
اني اراه ؟
ايخدعني الليل
بسرعة ؟
— ايها العزيز ،
الليل يخدعك
فانحدر الينا
ونم معنا !
هو الروح يتخيل لك .
فاصمت ونم !
— او بالحري لنسهر الآن
ولننتبه الى هنا وهناك ،
لئلّا يترصد احد نومنا
ويأتي فيسرقه .
— من يستطيع ان يهدئ
هؤلاء الصارخين :
قام الرب !

١٨

اجل قد تناهى الليل ،
اجل قد تناهى .
وما نطقت به
كان حقاً ، يا عزيزي .
ومن كان ميتاً
هو الآن حي يُرى ..
ها هو يزعزع
الحجر في الداخل .
ها هو يهتف بنا
بهذه الكلمات :
انه لرهيب ،
يحمل النور ،
يوزع النور ،
هو النور ،
انه حقاً ابن النور ؟
وخادم النور ،
وهذه هي الكلمات
التي قالها للنسوة :
قام الرب !

١٩

هذه خسارتهم ،
وهذا ربحنا ،
لاولئك كان جرحاً ،
ولنا حياة ،
لانه بالحقيقة
قام الرب !
وان يكن الحافظون
للقبر
قد اخذوا فضة ،
ليصمتوا مكرهين[1]
فالحجارة تصرخ :
« ان الحجر رفع
بدون يدين ،
فقد قُدّ من جبل .
فكما خرج
قديماً من الحشا
هكذا خرج الآن
من الرمس
وقام الرب ! »

(١) مت ٢٨ : ١٢ و١٣

٢٠

انت ، يا مخلص ، والد يوسف ،
أتيت من الحشا فأتى آدم
بدون زرع ، يلحق بك
وتركت للبتول وتبعتك حواء ،
اختام البتولية ، فخدمت حواء مريم .
كما تركت اليوم للقبر فكل الارض
اختام القبر . تسجد لك
تركت للحفير مرثمة لك
سباني يوسف ، نشيد الانتصار :
واخذت من الجفير قام الرب !